

الجمال وأثرها في اللغة

بقلم: عبد الله ضحيك

عاش العرب في البوادي والفلوات وتحيط بهم السباع والوحوش والحيوانات والطيور فكانوا لا يذمون ولا يمدحون ولا يضربون الأمثال إلا بها .

ومن هذه الحيوانات الجمال التي دجّنها الفينيقيون ما قبل الميلاد فأحدثت ثورة هائلة في عالم المواصلات والتجارة التي تجلب من آسيا وأماكن كثيرة في ذلك الزمان والى وقت قريب .

ولم تقف الجمال عند هذا الحد فالحروف الحلقية ( ح خ ع غ ) يستلزم نطقها حلقاً نشأ في البادية إذ لا ريب أن العرب أخذوا هذه الأصوات عن الجمال عندما كانت تأن تحت وطأة الأتقال والأحمال .

وأما عن شكلها الجميل الذي كان محل إعجاب العربي فقد اقتبس منه حرف ( ج ) شكل الجمل المبارك وتحويله إلى رمز صغير يؤدي معاني عميقة عند اجتماعه مع الأحرف الأخرى .

الجمل

وهو الحيوان الأثير عند العربي القريب من حياته والحامل لمتاعه والمحبب إليه استخرج منه أحلى الألفاظ وأرقاها في العربية ومازالت إلى اليوم فقالوا:

جميل – وجميله – والجمال – وجمل

( حسن خلقاً وخلقاً ) فهو في نظره الجامع لأكمل الصفات، واسمه هذا معروف منذ أن كان العرب ضمن الأسرة السامية

وهو في العبرية GIMAL .

الناقة

وهي أنثى الجمل أكثر مكانه عند الأعراب للفائدة المجتاه منها في ألبانها وأوزارها وأولادها

فمنها قالوا : أنيق – وأنيقة – والأناقة – تأتق في الأمر ( تجود ) .

ومن باب الاستطراد  
قالوا ثائر وثورة نسبة للثور وكذلك ( حمرة الشفق ) مأخوذة من لونه، وحسبه إن كانت له القيمة الكبرى في التقديرات كما  
للذهب الآن فيذكر هوميروس في إلياذته أن بعض الأسلحة كانت تساوى كذا وكذا من الثيران  
ولست أغفل عما ذكر الأب انستساس الكرملى أن العرب اشتقوا أكثر من خمسة آلاف كلمة من الإبل ونذكر منها على سبيل  
المثال :

العقل: التي هي بالأصل مأخوذة من عقال البعير لأنها تعقله عما لا ينبغي  
والإحباط: هي الأخرى مشتقة من الحبط وهو عندما يمتلئ بطن البعير من الكأ فلا يستطيع الخلاص منه  
وكذلك التواتر وكلمة شارد ووارد وغيرها الكثير من الكلمات

الجمال والشعر

لا خفاء بان أوزان الشعر التي نظم فيها شعراء الجاهلية تنتظم فيها الأعراب مع حركه من حركات الإبل وهى تظهر جلية  
في هذه الأرجوزة

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والحركة المتمهلة في هذا البيت

مال للجمال مشيها وثيدا أجندلاً يحملن أم حديدا

ومن المرجح أن الحداء له عمله المحسوس في التزام القافية في الشعر أو في سجع الكهان وفى هذا حديث يطول.

في ترتيب سير الإبل

أول سير الإبل : الدبيب – التزيد – الزميل – الرسيم – الوخد – العسيح – الوسيح – الوجيف – الرتكان – الإجمار - الإرقال

في التطير من الإبل

والكراهية لها لأنها تحمل الطعائن وتشنت الخلان وتصيرها كمثل غراب البين.

ومن ذلك قول أبي الشيص

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا

وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

وما على ظهر غراب البين تمطى الرحل

ولا إذا صاح غراب في الديار احتملوا

ولغيره

فما للأباعر لا بوركت

ولا بارك الله فيمن سراها

إذا أدبرت ذهب بالحبیب

وان أقبلت خفّته وراها

وقد أنصف الإبل من قال:

ألا فرعى الله الرواحل إنما

مطايا قلوب العاشقين الرواحل

على أنهن الواصلات عرى النوى

إذا ما نأى بالآلفين التواصل

من عجائب الإبل

قال الإمام الرازي في تفسيره ١٥٧/٣١:

كنت مع جماعة فضلنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل إلى تل ، ومن جانب إلى جانب حتى وصل بنا إلى الطريق بعد زمان طويل ، وقد كدنا نهلك لولاه ، فتعجبنا من قوة تخيله وانحفاظ الطريق له من مرّة ، بما فيها من المعاطف .